البيان في معاني التغني
وحكم قراءة القرآن بالألحان

د. نواف بن معيض الحارثي

الأستاذ بقسم القراءات – كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

عنوان البحث : البيان في معاني التغني وحكم قراءة القرآن بالألحان

الباحث: نواف بن معيض بن جمعان الحارثي

خطة البحث: اشتملت على الآتي:

المقدمة ، وفيها: أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بالترتيل وحكمه .

المبحث الأول: التغني ومعانيه ، وفيه مطالب : الأدلة الواردة على استحباب تحسين الصوت ، تعريف التغني ، وأقوال العلماء في معناه ، تعريف الترجيع والتحبير .

المبحث الثاني: اللحن ، تعريفه ، وتاريخ القراءة به.

المبحث الثالث: حكم القراءة بالألحان ، وفيه:

القائلون بالتحريم وأدلتهم. القائلون بالكراهة . والقائلون بالإباحة وأدلتهم .القائلون بالاستحباب . المناقشة والترجيح .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج ، ومنها:

- **يجب أن تحفظ مكانة القرآن ، ويصان عما يؤدي إلى الاستخفاف به وبقدسيته.**
- **أن تحسين الصوت له أصل شرعي في سنة النبي ﷺ .**
- **أن اختلاف العلماء في التلحين في إذا لم يختل شيء من حروفه عن مخرجه وصفته وهو محل النزاع.**

- **إجماع العلماء على تحريم التلحين إذا أدى إلى تغير شيء من حروف القرآن عن مخرجه أو زاد فيه بعض الحركات أو نقص منها ...**

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمـــــة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العبد- في هذه الحياة- يسعى للتقرب إلى الله تعالى بما يحب ويرضى من العبادات، و لا بد أن تكون عبادته قد استوفت شروط قبول العبادة من: إخلاص العمل له تعالى، والموافقة لما جاء به الرسول ﷺ فإذا اختل أحد هذين الشرطين فإن العبادة تكون وبالاً على صاحبها، نعوذ بالله من الخسران.

ومن العبادات التي تُقرب إلى الله تعالى تلاوة القرآن الكريم رجاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، وهذه العبادة احتفت بها بعض الأعمال التي تحتاج إلى بيان وإيضاح مثل: تحسين الصوت، ومعنى التغني بالقرآن، وأقوال العلماء في ذلك، والقراءة بالألحان، وحكمها وغير ذلك من المسائل.

ونظراً لتساهل بعض القرَّاء وتجاوزهم المشروع في قراءة القرآن الكريم، وانتشار بعض القراءات غير الجائزة عبر وسائل الإعلام المتنوعة.

ومن ثم جمعت مادة هذا البحث وجعلت عنوانه (البيان في معاني التغني وحكم قراءة القرآن بالألحان).

مشكلة البحث : ينطلق هذا البحث من إشكالية مهمة وهي أن بعض القراء أصبحوا يتجاوزون المشروع من قراءة القرآن الكريم عبر وسائل الإعلام المختلفة فجاء هذا البحث لعلاج تلك الإشكالية .

أهمية البحث : ترجع أهمية البحث للآتي :

1ـ قراءة القرآن الكريم عبادة نرجو بها ما عند الله تعالى

2ـ تساهل بعض القراء وتجاوزهم المشروع في قراءة القرآن الكريم .

3ـ انتشار بعض القراءات غير الجائزة .

أهداف البحث :يروم هذا البحث تحقيق الأهداف التالية :

1ـ تلاوة القرآن الكريم من العبادات التي تُقرب إلى الله عز وجل .

2ـ بيان استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم

/ بيان حكم القراءة بالألحان

منهج البحث : سوف أتبع المنهج الاستقرائي والاستباطي والتحليلي في تناول قضايا هذا البحث .

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث.

التمهيد: **تعريف الترتيل**، وحكمه.

المبحث الأول: **التغني ومعانيه، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الأدلة الواردة على استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف التغني لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في معنى التغني.

المطلب الرابع: تعريف الترجيع والتحبير لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: **اللحن، تعريفه، وتأويخ القراءة به.**

المبحث الثالث: **حكم القراءة بالألحان،** ويتناول:

أولاً ـ القائلون بالتحريم وأدلتهم.

ثانياً ـ القائلون بالكراهة.

ثالثاً ـ القائلون بالإباحة وأدلتهم.

رابعاً ـ القائلون بالاستحباب.

خامساً ـ المناقشة والترجيح.

الخاتمة، **وفيها أهم النتائج.**

وفي الختام أشكر الله وحده أن أعان على هذا البحث ويسر جمعه، فلله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وإني لأسأل الله أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

تمهيـــــــد

معنـــى الترتيـــل، وحكمـــه

لقد أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره بحسن التلاوة فقال مؤدباً له، وحاثاً أمته على الاقتداء به ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل:3] أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه على مهل وبيان مع تدبر المعاني. قال الضحاك:"اقرأه حرفاً حرفاً".

وقال مجاهد: "أحب الناس في القراءة أعقلهم عنه " [1]. قال ابن كثير: "اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره" [2].

فالتزم المصطفى عليه الصلاة والسلام أمر ربه، فعن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها"[3].

معنى الترتيل:

الترتيل: مصدر رتَّل فلان كلامه: أتبع بعضه بعضا على مكث وتؤدة، والاسم منه الرّتل: وهو اتساق الشيء وانتظامه على استقامة، ومنه ثغر رَتِل ورَتَل - بكسر العين

(١) بحر العلوم للسمرقندي 3/ 509، و الجامع لأحكام القران:لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي،تصحيح: أحمد البردوني، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط:2، 1405هـ 19/ 37.

(٢) تفسير 4/ 434.

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا... 1/ 507.

وفتحها-إذا كان حسن التنضيد[1].

ورتلت الكلام ترتيلاً: إذا أمهلت فيه، وأحسنت تأليفه، وهو يترتل في كلامه ويترسل إذا فصل بعضه من بعض " ولذا تقول العرب: ثغر رتل إذا كان متفرقاً فلا تركب الأسنان بعضها بعضا وإنما بينهما تفرق يسير[2].

فنلحظ أن الترتيل يدور حول التنضيد والتنسيق وحسن النظام مع السهولة وعدم التكلف. فيكون معنى: رتل القرآن: أي:ترسل في تلاوته وأحسن تأليف حروفه في قراءته وتبيين حروفه وحركاتها[3].

فالترتيل في القراءة: هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات [4].

وعرفه بعضهم فقال: " القراءة بتؤدة واطمئنان مع تدبر المعاني ومراعاة أحكام التجويد" [5].

ويتبين أن الترتيل يجمع بين السهولة والتبيين والتؤدة، **فيكون تعريفه: قراءة القرآن**

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمر عثمان الداني، تحقيق:د: غانم قدوري دار عمار،ط: 1، 1421هـ.:69،مفردات القرآن للراغب: مادة (رتل).

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمر عثمان الداني، تحقيق:د: غانم قدوري دار عمار،ط: 1، 1421هـ.:69، والعين: مادة (رتل)، واللسان، مادة (رتل).

(٣) انظر: سنن القراء:69.

(٤) الجامع لأحكام القران:لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي،تصحيح: أحمد البردوني، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط:2، 1405هـ 19/ 37.

(٥) انظر: هداية القاري 1/ 50. الذي يظهر أن تدبر المعاني أمر زائد عن الترتيل

بتمهل وترسل وسهولة مع بيان الحروف والحركات.

حكم الترتيل:

اتفق العلماء على استحباب ترتيل القرآن وتحسين الصوت، قال ابن قدامة: " واتفق العلماء على أنه يستحب قراءة القرآن بالتحزين والترتيل والتحسين"(١).

قال النووي: " أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق... " (٢). وقال أيضا:"يستحب ترتيل القراءة وتدبرها، وهذا مجمع عليه "(٣).

وقال السفاريني: " فالعلماء متفقون على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها"(٤).

وذهب بعض أهل العلم إلى **وجوب** الترتيل بدليل الآية ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل:3] وقالوا إن الأصل في الأمر أنه على الوجوب إلا إذا صرفه صارف، ولم يذكر العلماء أي صارف يصرف هذا الأمر عن أصله، فترتيل القرآن واجب على كل من قرأه (٥).

(١) انظر: المغني 12/ 48 .
(٢) انظر: شرح النووي على مسلم 6/ 80، والتبيان:78.
(٣) انظر: المجموع 3/ 399.
(٤) انظر: غذاء الألباب 1/ 175.
(٥) انظر: هداية القاري1/ 48، وسنن القراء:67.

ولذا لم يقتصر سبحانه وتعالى على الأمر بالفعل حتى أكده بمصدره تعظيما لشأنه، وترغيبا في ثوابه، فقال تعالى ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل:3] قال الشنقيطي:"...فهنا قوله تعالى ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل:3]نص على أن العبرة بترتيل القرآن ترتيلاً، وأكد بالمصدر تأكيداً لهذا الغرض..."[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء]،أي: على ترسل، فأنزلناه على الترتيل، وهو التمكث، وهو ضد العجلة[2].

والذي يظهر أن الترتيل مستحب وليس بواجب لإجماع العلماء على ذلك. والترتيل يعين على فهم المعاني وتدبرها ؛ ليحصل التأثر وخشوع القلب.

المبحث الأول

التغني ومعانيه

المطلب الأول: الأدلة الواردة على استحباب تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم:

1 –عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ:"لم يأذن الله لشيء ما أذِن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن ". وقال صاحب له يريد:

(١) أضواء البيان، لمحمد الشنقيطي 8/ 610.

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمر عثمان الداني، تحقيق:د: غانم قدوري دار عمار،ط: 1، 1421هـ.:70، والنشر 1/ 165.

يجهر به[1].

2- وعن أبي سلمة عنه أيضاً عن النبي ﷺقال:" ما أذِن الله لشيء ما أذِن للنَّبي أن يتغنَّى بالقرآن "[2]. قال سفيان: تفسيره: يستغني به.

3- وعن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول:"ما أذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به"[3].

ومعنى أذِن-بكسر الذال-: الاستماع، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ ﴾ [الانشقاق:2].

والمعنى: ما يستمع لشيء ما يستمع لنبي يتغنى بالقرآن من تحسينه به صوته[4].

قال ابن كثير: " ومعناه: أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته

(١) رواه البخاري 4/ 21 و 5/ 276،كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم"، وفي باب قوله تعالى "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له... " بلفظ:"ما أذن...". ورواه مسلم 1/ 545 باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، بلفظ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي...".

(٢) رواه البخاري 4/ 21، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى" أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم" ، ومسلم 1/ 545 باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن بلفظ: "ما أذن الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنَّى بالقرآن يجهر به ".

(٣) رواه البخاري5/ 303، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "الماهر بالقرآن... " و"زينوا القرآن بأصواتكم"، ومسلم1/ 545 باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٤) انظر: غريب القرآن لأبي عبيد2/ 139، وتفسير الطبري 30/ 112، ومشكل الآثار 3/ 200، وشرح النووي على مسلم 6/ 78، ولسان العرب، مادة (أذن)، وتاج العروس، مادة (أذن).

ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك؛ وهو سبحانه وتعالى، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم...ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الْأَذَن ههنا بالأمر، والأول أولى لقوله: "ما أذِن الله لشيء ما أذِن لنبي أن يتغنى بالقرآن " أي: يجهر به، والْأَذَن: الاستماع لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق:1ـ5] أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو: الاستماع..."[1].

4-وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " وزاد غيره: يجهر به[2].

5- وعن عبد الله بن أبي نهيك قال بينا أنا واقف وعبد الله بن السائب إذ مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاستأذنا فأذن لنا فإذا رجل رث المتاع فقال من أنتم ؟

(١) انظر: تفسير ابن كثير 8/ 60.

(٢) رواه البخاري 5/ 294، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به...)،وابن أبي شيبة 2/ 257 وفيه زيادة: "يعني: يتغنى به "، ورواه أحمد 3/ 125، وأبو داود 2/ 274 باب استحباب الترتيل للقرآن؛ بدون زيادة "يجهر به". قال ابن حجر في الفتح 13/ 510:("والحديث واحد إلا أن بعضهم رواه بلفظ "ما أذن الله" وبعضهم رواه بلفظ "ليس منا"...).

فانتسبنا إليه فقال: مرحبا وأهلا تجار كَسَبَة. فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن" قال ابن أبي مليكة: قلت يا أبا محمد: أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال:" يحسنه ما استطاع"(١).

4- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:"لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن"(٢).

5-عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن حُسْن الصوت زينةُ القرآن"(٣).

6- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأت ليلة عن رسول الله ﷺ بعد العشاء ثم جئت، فقال لي: أين كنت؟ قلت:كنا نسمع قراءة رجل من أصحابك في المسجد لم أسمع مثل صوته ولا قراءة من أحد من أصحابك! فقام وقمت معه حتى استمع إليه ثم التفت إليَّ فقال:"هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في

(١) رواه أبو داود 2/ 74 باب استحباب الترتيل للقرآن.وأورد قول وكيع وابن عيينة بعد هذا الحديث: يعني يستغني به. وجاء أيضا من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مثله. وسيأتي. قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات" المجمع 7/ 171.

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه من رواية أنس 2/ 484، والهمذاني في التمهيد في معرفة التجويد: 70. وله شواهد، قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو وهو ضعيف، ورواه البزار من رواية أنس وفيه عبد الله بن محرر وهو متروك" (المجمع 7/ 171)،وضعفه الألباني في الضعيفة 9/ 324.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير 110/ 82، والهمذاني في التمهيد في معرفة التجويد:68، وفيه سعيد بن زربي قال الهيثمي في مجمعه 7/ 171:"وهو ضعيف".

أمتي مثل هذا" [1].

7-عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال:"زينوا القرآن بأصواتكم"[2]، وفي رواية (فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً).

قال أحمد: التزيين أن يحسنه. وقال مرة: أن يحسنه بصوته من غير تكلف[3].

قال الخطابي: " المعنى: زينوا أصواتكم بالقرآن فقدم الأصوات على مذهبهم في قلب الكلام... وإنما تأولنا الحديث على هذا المعنى ؛ لأنه لا يجوز على القرآن وهو كلام الخالق أن يزينه صوت مخلوق؛ بل هو بالتزيين لغيره والتحسين له أولى... والمعنى:أشغلوا أصواتكم بالقرآن والهجوا بقراءته واتخذوه زينة وشعاراً ولم يُرِدْ تطريب الصوت به والتحزين له إذ ليس هذا في وسع كل أحد..." [4].

قلت: أغلب أهل العلم على خلاف التأويل السابق؛ لظواهر النصوص الأخرى

---

(١) رواه أحمد في المسند 42/ 196، ورواه ابن ماجة 1/ 425 باب حسن الصوت بالقرآن، والحاكم في المستدرك 3/ 250 وقال:" صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة 1/ 233.

(٢) رواه البخاري في أفعال العباد:67، وعلقه في صحيحه 9/ 158 في باب قوله عليه السلام "الماهر بالقرآن. وزينوا القرآن بأصواتكم "، ورواه أحمد4/ 283، وأبو داود 2/ 74، وابن حبان 3/ 25، والحاكم= =1/ 768 وغيرهم، وزاد الحاكم وغيره: "فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا "، ورواه الهمذاني في التمهيد بأسانيده من طرق:72، وصحح الحديث بالزيادة الألباني في الصحيحة 2/ 401.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل 2/ 41.

(٤) انظر: غريب الحديث له 1/ 357.

وتواردها على خلافه. والله أعلم.

وعن شعبة قال:" نهاني أيوب أن أتحدث بهذا الحرف:" زينوا القرآن بأصواتكم ". قال أبو عبيد: "وإنما كره أيوب ذلك مخافة فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة عن رسول الله ﷺ في هذه الألحان المبتدعة..."[1].

قال ابن كثير: " قلت ثم إن شعبة -رحمه الله- روى الحديث متوكلاً على الله كما روي له، ولو تُرك كل حديث يتأوله مبطل لتُرك من السنة شيء كثير..."[2].

قال ابن بطَّال: " المراد بقوله "زينوا القرآن بأصواتكم " المد والترتيل والمهارة في القرآن...وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة...ولعل البخاري أشار بأحاديث هذا الباب إلى أن الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه"[3].

قال ابن الأثير:" قيل: هو مقلوب، أي: (زينوا أصواتكم بالقرآن) بمعنى: الهجوا بقراءته وتزينوا به وليس ذلك على تطريب القول والتحزين كقوله " ليس منّا من لم يتغن بالقرآن" أي: يلهج بتلاوته كما يلهج سائر الناس بالغناء والطرب...

---

(١) انظر: فضائل القرآن:167، وغريب الحديث له 2/ 141.

(٢) انظر: فضائل القرآن له:34.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال 10/ 542(بتصرف في المطبوع)، وهو في فتح الباري 13/ 528 بنصه.

وقال آخرون: لا حاجة إلى القلْب وإنما معناه: الحث على الترتيل الذي أمر به فكأن الزينة للمرتِّل لا للقرآن كما يقال: ويل للشعر من رواية السوء فهو راجع إلى الراوي لا إلى الشعر، فكأنه تنبيه للمقصر في الرواية على ما يعاب عليه من اللَّحن والتصحيف وسوء الأداء، وحث لغيره على التوقي من ذلك، فكذلك قوله (زينوا القرآن) يدل على ما يزين من الترتَّيل والتدبر ومراعاة الإعراب.

وقيل: أراد بالقرآن القراءة فهو مصدر يقرأ قرآنا وقراءة، أي: زينوا قراءتكم القرآن بأصواتكم ويشهد لصحة هذا وأن القلب لا وجه له حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام استمع إلى قراءته فقال:"لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواد " فقال: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً، أي: حسنت قراءتي وزينتها، ويؤيد ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس رضي الله عنه: "لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن" أ.ه ـ[1].

7- عن عدي بن ثابت سمع البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ(

(١) النهاية لابن الأثير 2/ 325، وانظر: شرح ابن ماجة 1/ 95، والمجموع المغيث في غريب الحديث 2/ 582. وتقدم تخريج الحديث "لكل شيء حلية...".

والتين والزيتون) في العشاء فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه أو قراءة "[1].

8-عن فضالة بن عبيد مرفوعا:"الله أشد أَذَناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته"[2].

10-عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺقال له يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود "[3].

11-وفي رواية: عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺذات يوم: " لو رأيتني يا أبا موسى وأنا أسمع قراءتك البارحة ؛ لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود " قال:قلت: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا "[4].

12- عن عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع ".

---

(١) رواه البخاري 1/ 266،كتاب الأذان، باب القراءة في العشاء، ومسلم 1/ 339 باب القراءة في العشاء.

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد: 68، وأحمد 6/ 19، وابن ماجة 1/ 425، وابن حبان 3/ 31، والحاكم 1/ 760 وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة 3/ 340. والقينة: المغنية. وجاء بلفظ: إذْنا وأذَنا.

(٣) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن 4/ 1925، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن 1/ 546.

(٤) ورواه ابن حبان 16/ 170، وأخرج الزيادة كذلك أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم 2/ 384. وقال الهيثمي:" رواه أبو يعلى وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف " المجمع 7/ 171.

وفي رواية: "وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجَّع ".

وفي رواية:" ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفَّل وقال: "لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجَّعت كما رجَّع ابن مغفَّل يحكي النَّبيَّ ﷺ" فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ آ ثلاث مرات"(١).

13- عن ابن عمر قال سئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس صوتا بالقرآن؟ قال:" من إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل " (٢).

14-عن علقمة قال: " كنت رجلا قد أعطاني الله حسن الصوت وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القرآن فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: " زدنا من هذا - فداك أبي وأمي - فإني سمعت رسول الله ﷺيقول: "حسن الصوت زينة للقرآن" (٣).

15-كان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: " ذكرنا ربَّنا، فيقرأ أبو موسى

(١) رواه البخاري في مواضع عدة: فرواه في فضائل القرآن، باب الترجيع 4/ 1560، 4/ 1925، 6/ 2742. وسيأتي مزيد بيان في مطلب تعريف الترجيع.

(٢) قال الهيثمي:"رواه الطبراني في الأوسط وفيه حميد بن حماد بن حوار وثقه ابن حبان وقال ربما أخطأ وبقية رجال البزار رجال الصحيح " المجمع 7/ 171.وصححه الألباني في السلسلة 4/ 157.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه 1/ 255، وقال الهيثمي: " رواه الطبراني وفيه سعيد بن أبي رزق وهو ضعيف " المجمع 7/ 171، ورواية أبي عبيد في فضائله:157:"...فكأنه عجل فقال عبد الله " فداك أبي وأمي ! رتِّل، فإنه زين القرآن...".

ويتلاحن"[1]، وكان عمر يقول: " من استطاع منكم أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل ".

16-كان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتا بالقرآن، قال له عمر: اعرض عليّ سورة كذا، فعرض عليه، فبكى عمر، وقال: ما كنت أظن أنها نزلت " [2].

17-نقل الذهبي عن ابن الهندي -في ترجمة أبي موسى الأشعري- قوله: " ما سمعت طنبوراً، ولا صنجاً، ولا مزماراً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري، كان يصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة " [3].

18-كان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن، فخرج ليلة يقرأ، وجهر بصوته، فاستمع له الناس، فقال سعيد بن المسيب: فتنت الناس، فدخل [4].

فهذه جملة من الأحاديث والآثار تبين استحباب تحسين الصوت عند قراءة القرآن.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه 2/ 486، وأبو عبيد في فضائله:163، بدون (ويتلاحن)، والدرامي في سننه 4/ 2190، وابن حبان 16/ 169 وقول عمر أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد:73.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائله:164، وفيه:"يا عقبة اعرض عليَّ سورة. فعرض عليه (براءة من الله ورسوله)" وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال 10/ 260، وزاد المعاد لابن القيم 1/ 467.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: 73، وأخرجه أبو عبيد في فضائله: 163، دون(كان يصلي بنا...)، وأخرجه المروزي مختصر قيام الليل 1/ 137.

(٤) انظر: غاية النهاية لابن الجزري1/ 593.

المطلب الثاني: تعريف التغني لغة واصطلاحاً:

يقول ابن فارس:" غنى: الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الكفاية، والآخر صوت. فالأول: الغنى في المال، يقال: غَنى يغنَى غِنى، والغَنَاء -بفتح الغين مع المد- الكفاية...والأصل الآخر: الغِناء من الصوت، والأغنية اللون من الغِناء"[1].

وقال الأزهري:" غنى: قال الليث: الغنى في المال مقصور، واستغنى الرجل. أصاب غنى والغنية: اسم من الاستغناء عن الشيء. وفي الحديث" ليس مِنا من لم يتغن بالقرآن "... وقال أبو العباس: الذي حصلناه من حُفاظ اللغة في قوله ﷺ" كأذنه لنبيٍّ يتغنى بالقرآن " أنه على معنيين: على الاستغناء، وعلى التطريب، قلت: فمن ذهب به إلى الاستغناء فهو: من الغنى مقصور، ومن ذهب به إلى التطريب فهو: من الغناء الصوت ممدود، يقال: غنَّى فلان يغني أُغنية وتغنى بأغنية حسَّنة..." أ. ه [2].

التغني اصطلاحا: تحسين الصوت مع التمسك بأحكام التجويد والأداء[3].

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (غنى).
(٢) تهذيب اللغة، مادة (غنى).
(٣) معجم مصطلحات علوم القرآن:59.

قلت:يظهر أن التغني ليس مقصوراً فقط على التحسين بل يزيد بشيء من الترجيع والتطريب والترنم والتزيين، فهو -التغني- تحسين للصوت وزيادة ؛ فيكون التغني هو: تحسين الصوت مع الترجيع والتطريب، والترجيع يلزم منه التطريب، والتطريب يقتضي الترجيع -والله أعلم-.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في معنى التغني:

اختلف العلماء في معنى (يتغنى بالقرآن) على أقوال عدة منها:

أحدها: تحسين الصوت، وإليه ذهب ابن أبي مليكة وابن المبارك والإمام أحمد والشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وتفسيره عند الأكثرين كالشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما هو تحسين الصوت به"(٢).

قال الحليمي:" والذي يظهر بدلالة الأخبار أنه أراد بالتغني: أن يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه.." (٣).

الثاني: الاستغناء، وذهب إليه وكيع وابن عيينة وأبو عبيد والطحاوي، وعليه

(١) انظر: مجموع الفتاوى 11/ 532.
(٢) جامع المسائل 3/ 304.
(٣) انظر: المدخل لابن الحاج 1/ 54.

العمل كما قال أحمد بن يحيى ثعلب[1].

قال أبو عبيد:" كان سفيان بن عيينة يقول معناه: من لم يستغن به ولا يذهب به إلى الصوت وليس للحديث عندي وجه غير هذا؛ لأنه في حديث آخر كأنه مفسر عن عبد الله بن أبي نهيك أنه دخل على سعد وعنده متاع رث ومثال رث – بالي– فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن ". قال أبو عبيد:" فذكره رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث يبين لك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل وليس الصوت من هذا في شيء، ويبين ذلك حديث عبدالله:" من قرأ سورة آل عمران فهو غني "[2].... ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس: أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت، لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي عليه السلام حين قال:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " وهذا لا وجه له، ومع هذا أنه كلام جائز فاش في كلام العرب وأشعارهم..." [3].

وقال في فضائله[4]: "قوله "من لم يتغنَّ " التغني: هو: الاستغناء والتعفف عن

(١) انظر: الأمر بالمعروف للخلال:77.

(٢) رواه البيهقي في الشعب 6/ 138.

(٣) انظر: غريب الحديث له 2/ 169 وما بعدها

(٤) فضائل القرآن:210.

مسألة الناس واستئكالهم بالقرآن، وأن يكون في نفسه بحمله القرآن غنياً، وإن كان من المال معدماً".

قال الطحاوي:"...فتأملنا معنى هذا الحديث فوجدنا الناس فيه على قولين: فقوم منهم يقولون أريد به الاستغناء بالقرآن عن الأشياء كلها; لأنه قد يكون بذلك الجزاء الجزيل في الآخرة، والوصول به من الله عز وجل إلى عاجل خيره في الدنيا، وقوم يقولون هو على تحسين الصوت ليرق له قلب من يقرؤه فالتمسنا الأولى من هذين القولين بمعناه...فكان قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " ذما لمن لم يفعل ذلك كقوله " ليس منا من غشنا " ووجدنا من قرأ القرآن بغير تحسين منه له صوته مريدا بقراءته إياه الأحوال المحمودة مثاباً على ذلك غير مذموم عليه، فعقلنا بذلك أن يكون مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:" من لم يتغن بالقرآن " هذا المعنى، ولما انتفى ذلك المعنى عنه، ولم يقل في تأويله غير هذين القولين، وانتفى أحدهما ثبت الآخر منهما وهو الاستغناء به عن سائر الأشياء سواه..."[1].

قال الطيبي:" يحتمل كونه بمعنى: التغني، وبمعنى: الاستغناء لما لم يكن مبينا بالسابق واللاحق، ورجح الاستغناء بأن: فليس منا ؛ أي: من أهل سنتنا وعيد ولا

(١) انظر: مشكل الآثار 3/ 347.

خلاف أن قارئه بتحسين صوته يثاب فكيف يستحق الوعيد ؟

وأقول-الطيبي- يمكن كون معناه: ليس منا معشر الأنبياء من يحسن صوته ويسمع الله منه، بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم فيثاب على قراءته كسائر المسلمين لا على تحسين صوته كالأنبياء ومن تبعهم فيه..."[1].

وذكر ابن حجر أن إسحاق ابن راهويه بيَّن أن مراد ابن عيينة: استغناء خاص، وكذا قال أحمد عن وكيع: يستغني به عن أخبار الأمم الماضية [2].

وأخرج الطبري وغيره من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: " جاء ناس من المسلمين بكتب وقد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم "، فنزل: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 51] [3].

(١) انظر: شرح سنن ابن ماجة 1/ 95، وفيض القدير 5/ 387. ومعنى كلام الطيبي:أراد حصر الحديث في شأن الأنبياء، والمعنى يكون: أن الأنبياء لا بد أن يحسنوا أصواتهم بالقرآن فهذه سنتهم، ومن تبعهم في هذا من المسلمين فقد ارتقى في الاتباع وهو منهم في هذا التحسين لا كسائر المسلمين الذين لم يبلغوا هذا التحسين فإنهم ليسوا مع الأنبياء في التحسين فقط. وهذا الوجه فيه تكلف ظاهر. والله أعلم. وقوله: "...بالسابق واللاحق.." يقصد السياق.

(٢) انظر: فتح الباري 9/ 68.

(٣) تفسير الطبري 18/ 420.

وأورد البخاري حديث "لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن" وقال صاحب له: يجهر به، وحديث" ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتغنَّى بالقرآن" قال سفيان: تفسيره: يستغني به، وترجم له بقول: باب من لم يتغنَّ بالقرآن وقوله ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 51].

قال ابن حجر:" أشار بهذه الآية إلى ترجيح تفسير ابن عيينة: يتغنى: يستغني "[1].

قال ابن بطال:" وذكر أهل التأويل في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 51] أن هذه الآية نزلت في قوم أتوا النبي ﷺ بكتاب فيه خبر من أخبار الأمم. فالمراد بالآية الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم على ما ذكره إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة، وليس المراد بالآية الاستغناء الذي هو ضد الفقر، وإتباع البخاري الترجمة بهذه الآية يدل أن هذا كان مذهبه في الحديث، والله أعلم"[2].

ونقل ابن حجر عن ابن التين قوله: " يفهم من الترجمة أن المراد بالتغني: الاستغناء

(١) فتح الباري 9/ 68.

(٢) شرح صحيح البخاري له 10/ 258.

لكونه أتبعه الآية التي تضمن الإنكار على من لم يستغن بالقرآن عن غيره فحمله على الاكتفاء به وعدم الافتقار إلى غيره، وحمله على ضد الفقر من جملة ذلك" [1].

قال ابن مالك:" وأقول الظاهر أن الاستغناء يكون وقت قراءته، إذ لا دليل في اللفظ على استغراق استغنائه جميع الأوقات فلا يلزم منه الفساد، وقلة الاستعمال لا يمنع احتمال الإرادة"[2].

قلت: لم يُسلم كثير من أهل العلم للقول السابق –أن التغني بمعنى الاستغناء– فاعترض على قول ابن عيينة بعض الأئمة.

منهم الطبري، فقال: " الدليل على أن معنى الحديث: تحسين الصوت والغناء المعقول... ما روى سفيان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الترنم بالقرآن) [3]،ومعقول عند ذو ي الحجا أن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه المترنم وطرب به...ولو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر حُسن الصوت ولا لذكر الجهر معنى "[4].

---

(١) انظر: فتح الباري 9/ 68.

(٢) انظر: دليل الفالحين 6/ 486.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل 6/ 361، والمنذري في الترغيب والترهيب 2/ 215 بنحوه، قال الألباني: " منكر بلفظ (الترنم)" انظر: السلسلة الضعيفة 14/ 330، وشذذها في: ضعيف الترغيب والترهيب 1/ 218

(٤) انظر: شرح االبخاري لابن بطال 10/ 260، وفتح الباري 9/ 71 (بتصرف). ويشير الطبري إلى رواية " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن". وسبق تخريجه.

ومنهم الإسماعيلي فنقل عنه ابن حجر قوله: "الاستغناء به لا يحتاج إلى استماع؛ لأن الاستماع أمر خاص زائد على الاكتفاء به، وأيضا فالاكتفاء به عن غيره أمر واجب على الجميع، ومن لم يفعل ذلك خرج عن الطاعة "[1].

ومنهم ابن كثير فقال:" وقال سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني: يستغنى به، فإن أراد: أنه يستغنى عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها "[2].

قال القرطبي: "قال عمر بن شبة: ذكرت لأبي عاصم النبيل تفسير ابن عيينة فقال:"لم يصنع شيئا"[3].

قال ابن حجر:" وليس المراد ما اختاره أبو عبيد أنه يحصل به الغنى دون الفقر لكن الذي اختاره أبو عبيد غير مدفوع إذا أريد به الغنى المعنوي وهو غنى النفس وهو القناعة لا الغنى المحسوس الذي هو ضد الفقر ؛ لأن ذلك لا يحصل بمجرد

(١) قلت: يقصد أن الاستغناء واجب على الجميع؛ فلا يحتاج أن ينبه عليه؛ لأنه معلوم لدى الجميع، فهو يريد أن يبين أن المراد هو تحسين الصوت..وانظر قوله في: فتح الباري 9/ 68.

(٢) تفسيره 8/ 60.

(٣) الجامع لأحكام القران:لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي،تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط:2، 1405هـ 1/ 26.

ملازمة القراءة إلا إن كان ذلك بالخاصية وسياق الحديث يأبى الحمل على ذلك فإن فيه إشارة إلى الحث على تكلف ذلك وفي توجيهه تكلف كأنه قال: ليس منا من لم يتطلب الغرى بملازمة تلاوته...وذكر الطبري عن الشافعي: أنه سئل عن تأويل ابن عيينة التغني بالاستغناء فلم يرتضه وقال: لو أراد الاستغناء لقال: لم يستغن، وإنما أراد تحسين الصوت"[1].

وأخرج ابن ماجة وابن حبان والحاكم وأحمد من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا:" الله أشد أذنا -أي:استماعا - للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته" والقينة: المغنية[2].

وروى ابن أبي شيبة من حديث عقبة بن عامر رفعه: "تعلموا القرآن وغنوا به وأفشوه"[3]. ويفسر قول:" ليس منا"، أي: ليس من أهل سنتنا، وليس المراد أنه ليس من أهل ديننا..."[4].

(١) فتح الباري 9/ 169.

(٢) رواه ابن ماجة 1/ 425، وأحمد 6/ 19، وابن حبان 3/ 31، والحاكم 1/ 760 وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة 3/ 340، وانظره في ضعيف الجامع رقم (4630).

(٣) رواه أحمد في المسند 28/ 616 بنحوه، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه 2/ 500، وفيه: "واتلوه " بدل "وتغنوا"، والطبراني في المعجم الكبير 17/ 251، والهمذاني في التمهيد:95.

(٤) انظر: عمدة القاري 25/ 182.

قلت: قرر الأئمة أن قوله عليه الصلاة والسلام "ليس منا" لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه، أو فعل ما حرمه الله ورسوله، فيكون قد ترك من الإيمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لأجله، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد، السالمين من الوعيد(١).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"ليس منا من لم يتغن بالقرآن" وقد فسره الشافعي وأحمد وغيرهما بأنه من الصوت فيحسنه بصوته، ويترنم به، بدون تلحين المكروه. وفسره ابن عيينة وأبو عبيد وغيرهما بأنه الاستغناء به، وهذا وإن كان له معنى صحيح فالأول هو الذي دل عليه الحديث فإنه قال:" ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن يجهر به " وفي الأثر "إذا ركب الدابَّة أتاه الشيطان وقال له: تغنّ، فإن لم يتغن، قال له: تمنّ " فإن النفس لا بد لها من شيء في الغالب تترنم به فمن لم يترنَّم بالقرآن ترنَّم بالشعر...". أ. هـ(٢).

ويقول أيضاً: "...ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم "لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته " وقال:" ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به " بل قوله صلى الله عليه وسلم: "

(١) انظر: الإيمان لشيخ الإسلام:60.

(٢) مجموع الفتاوى 11/ 532.

ليس منا من لم يتغن بالقرآن " يقتضي أن التغني المشروع هو بالقرآن وأن من تغنى بغيره فهو مذموم، ولا يقال: هذا يدل على استحباب حسن التغني.

وقوله" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " **إما أن يريد به الحض على أصل الفعل وهو نفس التغني بالقرآن وإما أن يريد به مطلق التغني** وهو على صفة الفعل، والأول هو أن يكون تغنيه إذا تغنى بالقرآن لا بغيره وهذا كما وقع في قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة المائدة: 49] هل هو أمر بأصل الحكم أو بصفته إذا حكم؟

والمعنى الثاني: ذم لمن تغنى بغيره مطلقا دون من ترك التغني به وبغيره.

والمعنى الأول: ذم لمن ترك التغني به دون من تغنى به ومن تغنى بغيره... "[1].

ويقول ابن القيم:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " وفيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله. والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم"[2].

ومن الأقوال في معنى التغني وهو القول الثالث:

التحزن، أي: يظهر على قارئه الحزن- الذي هو ضد ال ـسرور- عند قراءاته

(١) الاستقامة 1/ 291.

(٢) انظر: زاد المعاد 1/ 474.

وتلاوته، وليس من الغُنية؛ لأنه لو كان من الغُنية لقال: يتغانى به، ولم يقل: يتغنى به. قاله الشافعي[1]، ووافقه أبو عبيد على أن معنى حديث: " ما أذن الله لنبي... " -التحزن- فقال: ((وقوله:" يتغنى بالقرآن، إنما مذهبه عندنا تحزين القراءة... "، وقال أيضا:" وعلى هذا المعنى تحمل هذه الأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت،إنما هو طريق الحزن والتخويف والتشويق يبين ذلك حديث أبي موسى..." [2].

الرابع: رفع الصوت، فإذا رفع صوته فقد تغنى به، وهذا قول للإمام أحمد أيضاً[3].

الخامس: التشاغل به، تقول العرب: تغني بالمكان أقام به.

قال ابن حجر:" فيكون معنى الحديث: الحث على ملازمة القرآن وألّا يتعدى إلى غيره وهو يؤول من حيث المعنى إلى ما اختاره البخاري من تخصيص الاستغناء وأنه يستغني به عن غيره من الكتب "[4].

السادس: أن يجعله هِجِّيَراه كما يجعل المسافر والفارغ هِجِّيرَاه الغناء ؛ قال

(١) انظر: كشف المشكل 3/ 369، وشرح النووي على مسلم 6/ 79.

(٢) انظر: غريب الحديث له 2/ 140، وفضائل القرآن له: 164. وانظر: غريب الحديث لابن الجوزي2/ 325.

(٣) انظر: مشارق الأنوار 2/ 137، والأمر بالمعروف للخلال:77، ودرء تعارض العقل والنقل 2/ 41.

(٤) فتح الباري 9/ 70.

الخطابي:" إنما هو أن يلهج بتلاوته كما يلهج الناس بالغناء والطرب عليه..."[1].

قال ابن الأعرابي:" كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى بالركباني[2] وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها فلما نزل القرآن أحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هِجِّيراهم القراءة مكان التغني بالركباني"[3].

السابع: من لم يغنه القرآن وينفعه في إيمانه ويصدق بما فيه من وعد ووعيد.

الثامن: من لم يرتح لقراءته وسماعه[4].

التاسع:الإفصاح بألفاظه.

العاشر: قراءته على خشية من الله تعالى ورقة من فؤاده[5].

وذهب بعض الأئمة إلى الجمع بين الأقوال:

قال الهمذاني العطَّار:" وجميع هذه الأخبار التي سقناها، من ذهب إلى أنها من الغنى المقصور فالمعنى بيِّن لا خفاء به، ومن ذهب إلى أنها من الغناء الممدود فليس

(١) غريب الحديث له 1/ 358. ومعنى: هِجِّيراه: دأبه وعادته. انظر: تهذيب اللغة (باب الجيم والراء)، والصحاح مادة(هجر) وغيرها. ومال إليه ابن رجب في فتح الباري له 6/ 82.

(٢) نشيد تتغنى به العرب بالتمطيط والمد مع رفع الصوت. انظر: القول والمعنى في شرح صحيح البخاري لابن بطال 1/ 545، ونقل الخطابي قول ابن الأعرابي في معالم السنن1/ 291.

(٣) انظر: غريب الحديث للخطابي 1/ 358.

(٤) انظر القولين في: فتح الباري 9/ 70.

(٥) انظر القولين في: دليل الفالحين 6/ 486.

المراد بذلك هذا التطريب المكروه والتلحين المذموم، وإنما المراد به الترتيل، وتحسين الصوت، وحفظ الحروف، ومراعاة الوقوف، إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة، مع استشعار الخوف وارتداء الحزن..."[1].

قال ابن حجر:"... وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت ويؤيده قوله:" يجهر به " فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره ولا سيما إذا كان فقيهاً، وقد جزم الحليمي بأنها من قول أبي هريرة، والعرب تقول: سمعت فلاناً يتغنى بكذا، أي يجهر به... والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة وهو: أنه يحسن به صوته جاهراً به، مترنماً على طريق التحزن، مستغنياً به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس، راجيا به غنى اليد" [2].

قال الشيخ الغنيمان:" في هذا الجمع نظر، فإن الرسول ﷺ أراد بذلك معنى معيناً، وظواهر أقواله في ذلك أنه أراد تحسين الصوت، وكذا التحزن الذي يستجلب به

(١) التمهيد في معرفة التجويد:123.

(٢) فتح الباري 9/ 169 (بتصرف)، وانظر: شرح مسلم للنووي 6/ 79.

الخشوع ومحبة القرآن والإقبال إلى استماعه"[1].

قال الشيخ ابن عثيمين:" قال العلماء وهذه الكلمة لها معنيان: الأول: (من لم يتغن به) أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدى من سواه فليس منا، فهذا لا شك أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله الله والعياذ بالله.

والمعنى الثاني:(من لم يتغن) أي: من لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا **فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغنى به عن غيره**"[2].

قلت: لفظة "غنى" من المشترك اللفظي الدال على أكثر من معنى في لغة العرب، وعليه فيظهر أنه يصح حملها على جميع المعاني كما رجح ذلك ابن حجر وغيره، وبهذا تجتمع الأقوال، لكن للقول الثاني أدلة تؤيد وترجح بأن التغني المراد به تحسين الصوت، منها:

1-حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: "زينوا القرآن بأصواتكم "[3]، وفي رواية (فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً).

2-أن ابن أبي مليكة تأوله على حسن الصوت في القصة التي تقدمت وهو من

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري 2/ 319.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين 4/ 644.

(٣) تقدم سابقاً، وهو حديث صحيح.

رواتها... فعن عبدالله بن أبي نهيك قال بينا أنا واقف وعبدالله بن السائب إذ مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاستأذنا فأذن لنا فإذا رجل رث المتاع فقال من أنتم ؟ فانتسبنا إليه فقال: مرحبا وأهلا تجار كَسَبَة. فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ:" ليس منا من لم يتغن بالقرآن " قال ابن أبي مليكة: قلت يا أبا محمد: أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال: " يحسِّنه ما استطاع "[1].

3-عن عقبة بن عامر، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتدارس القرآن، قال:" تعلموا كتاب الله، وأقيموه، وتعاهدوه، وتغنَّوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من صدور الرجال من المخاض في عقلها" [2].

4-جاء عن ابن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص- وقد كفَّ بصره- فسلمت عليه فقال: من أنت؟ فأخبرته فقال: مرحباً بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن هذا القرآن أُنزل بحُزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنَّوا به، فمن لم يتغن به فليس منا " [3]. —

(١) تقدم سابقاً، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند 28/ 616 بنحوه، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه 2/ 500، وفيه: "واتلوه " بدل "وتغنوا"، والطبراني في المعجم الكبير 17/ 251، والهمذاني في التمهيد:95. وتقدم سابقاً.

(٣) أخرجه ابن ماجة 1/ 4242، والمروزي في قيام الليل:97، وأبو يعلى في المسند 2/ 50، والهمذاني في التمهيد:90. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب 1/ 219.

المطلب الرابع: تعريف الترجيع والتحبير لغةً واصطلاحاً:

أولاً ـ المراد بالترجيع:

الأصل في الترجيع حديث عبد الله بن مُغفَّل قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجّع ". وفي رواية: "وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجَّع ".

وفي رواية:" ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل وقال: "لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي صلى الله عليه وسلم " فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه ؟ قال: آآآ ثلاث مرات" [1].

الترجيع لغةً:

قال ابن فارس:" الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس، يدل على رد وتكرار... والترجيع في الصوت: ترديده.." [2].

وقال الراغب الأصفهاني: " والتَّرجيع ترديد الصوت باللحن في القراءة وفي

(١) رواه البخاري في مواضع عدة: فرواه في فضائل القرآن، باب الترجيع 4/ 1560، 4/ 1925، 6/ 2742.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (رجع).

الغناء..."[1].

قال الهمذاني:" أما التَّرجيع فإنه تكرير الصوت بالمد، رجَّع الرجل في قراءاته إذا كرر صوته بالمد"[2].

الترجيع اصطلاحاً: تكرار وترداد الصوت بالمد عند تلاوة القرآن الكريم مع الترنم.

قال ابن حجر:" **والترجيع** هو: تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق...ثم قالوا: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن ذلك حدث من هز الناقة، والآخر: أنه أشبع المد في موضعه فحدث ذلك، وهذا الثاني أشبه بالسياق فإن في بعض طرقه " لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن " أي: النغم، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع...والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل..." [3].

قال ابن القيم:"...علمت أن هذا الترجيع منه صلى الله عليه وسلم كان اختياراً لا اضطراراً لهز الناقة له، فإن هذا لو كان لأجل هز الناقة لما كان داخلاً تحت

(١) المفردات في غريب القرآن: 196.

(٢) انظر: التمهيد للهمذاني:186.

(٣) الفتح 9/ 92.

الاختيار، فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليؤتسى به، وهو يرى هز الراحلة حتى ينقطع صوته، ثم يقول: كان يرجع في قراءته، فينسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة، لم يكن الفعل يسمى ترجيعاً "[1].

أما القرطبي فله رأي آخر فيقول: "... ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، فترجيع الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، والشُّبه الواحدة شُبُهات-أي الحروف- فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نَبْر وهمز صيروها نبَرَات وهمزات، والنَّبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير، إما ممدودة وإما مقصورة.

فإن قيل: فقد روى عبد الله بن مغفل قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له سورة " الفتح" على راحلته فرجع في قراءته، وذكره البخاري وقال في صفة الترجيع: آء آء آء، ثلاث مرات. قلنا: ذلك محمول على إشباع المد في موضعه، ويحتمل أن يكون صوته عند هز الراحلة، كما يعتري رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هزِّ المركوب، وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه...وهذا الخلاف إنما هو ما لم يُفهم معنى القرآن، بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق، كما

(١) زاد المعاد 1/ 456.

يفعل القرَّاء بالدِّيار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضلَّ سعيهم، وخاب عملهم، فسيحتلُّون بذلك تغيير كتاب الله، ويهوِّنون على أنفسهم الاجتراء على الله، بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه، جهلاً بدينهم، ومروقاً عن سنة نبيهم، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعاً إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم في غيِّهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون، فإنا لله وإنا إليه راجعون..."[1].

ومن معاني الترجيع:

1- تحسين التلاوة والتأني بها، فكأن في الترجيع قدراً زائداً من التأني والتؤدة والخشوع.

2-تمويج الصوت أثناء القراءة لاسيما في المدود ومنه حديث ابن مغفل السابق [2].

3-تكرار الآية أو بعضها وترددها[3].

(١) الجامع لأحكام القران:لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي،تصحيح: أحمد البردوني، أعاد ت طبعه دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط:2، 1405هـ 1/ 30.

(٢) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري 120،و هي من زيادات المحقق. قلت: هذا يعود إلى ترديد الصوت الذي سلف ذكره.

(٣) انظر: معجم مصطلحات علوم القرآن:57.

4-ذهب بعض المعاصرين إلى أن الترجيع هو: التغني والترنم،أو هو لون من ألوانه، وفي حديث حذيفة (وسيج يء بعدي أقوام يرُجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح...) أي: يترنمون بالقرآن على نغمات المغنين والنوَّاحين، فإذا كان هذا هو الترجيع المحرم، فذاك الترجيع المشروع. ومما يدل على أن المراد هنا بالترجيع: الغناء والترنم، قول الراوي نفسه: " لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن"[1].

ثانياً ـ المراد بالتحبير:

الأصل في التحبير حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: "يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " [2].

وفي رواية: عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ ذات يوم:" لو رأيتني يا أبا موسى وأنا أسمع قراءتك البارحة: لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود "

قال:قلت: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك

(١) انظر: سنن القراء:90.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن 4/ 1925، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن 1/ 546. دون قوله: لو علمت...

تحبيراً"[1].

وعند أبي عبيد أيضاً: "أن أبا موسى قام ذات ليلة يقرأ، فقام أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يستمعن لقراءاته، فلما أصبح أُخبر بذلك فقال: لو شعرت لشوقت تشويقاً، وحبَّرت تحبيراً[2].

التحبير لغة:" الحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطرد وهو: الأثر في حسن وبهاء... والمحبر الشيء المزين.." [3].

ويقال: حبرت الشيء تحبيراً إذا حسنته،وحبرت الشعر والكلام حسنته.

وحبّر الشيء: زينه ونمّقه، يقال: حبّر الشعر والكلام والخط [4]. فالتحبير هو: التزيين.

قال ابن جرير: " معنى الحديث: تحسين الصوت والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامع صوته، كما أن الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذي يطرب

(١) ورواه ابن حبان 16/ 170، وأخرج الزيادة كذلك أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم 2/ 384. وقال الهيثمي:" رواه أبو يعلى وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف " المجمع 7/ 171.

(٢) انظر: فضائل القرآن له:164، والتمهيد للهمذاني:122.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (حبر). قلت روي:" يخرج من النار رجل قد ذهب حِبْرُهُ وسِبْرُهُ" أي: حسنه وجماله وبهاؤه.انظر: المفردات في غريب القرآن:111.

(٤) انظر: اللسان، والمعجم الوسيط، مادة (حبر).

سامعه"[1].

وقال ابن حجر:" يحسن به صوته جاهراً به مترنماً على طريق التحزن، ولا شك أن النفوس تميل إلى القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع"[2].

التحبير اصطلاحا: قراءة القرآن بصوت حسن مع التنغيم والتزيين فوق الطبع والمعتاد.

ويدل على هذا التعريف عدة أوجه:

الوجه الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: "...وأنا أستمع لقراءتك... " فاستمع عليه السلام لقراءاته وهو يقرأ وكانت حسنة الصوت.

الوجه الثاني: قول النبي ﷺ:"لقد أوتيت مزمارا " والمراد هنا: حسن الصوت، وأصله الآلة أطلق عليه الصوت للمشابهة، وأصل الزمر: الغناء، فدل على أن المراد هو تحسين صوته والترنم بالقراءة إذ وجه الشبه بينه وبين المزمار هو حسن الصوت.

قال ابن الأثير: (وفي حديث أبي موسى سَمِعه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ

(١) شرح ابن بطال 10/ 260.

(٢) فتح الباري 9/ 72.

فقال:" أُعْطِيتَ مزْمارا من مَزَامِير آلِ دَاودَ "، شبَّه حُسنَ صَوته وحلاوة نَغْمَته بصوت المِزْمارِ، وداودُ هو النبي – عليه السلام – وإليه المُنْتَهى في حُسْن الصَّوت بالقراءة"[1].

قال ابن خلدون: " وأما قوله – صلى الله عليه وسلم – "لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود" فليس المراد به الترديد والتلحين، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها"[2].

الوجه الثالث: قول أبي موسى "لحبّرته لك تحبيراً"، أي: لزدت في تحسين صوتي والترنم بقراءتي وذلك لا يكون إلا بتكلف قدر زائد على الطبيعة، أي: قدر زائد على ذلك الذي سمعه النبي عليه الصلاة والسلام [3].

قال ابن الجوزي: " وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين، ولا يقال إن زيادة التجويد في ذلك رياء لأجل الخلق إذا كان المقصود اجتذاب نفعهم... "[4].

قال القسطلاني:" وهذا يدل على أن أبا موسى كان يستطيع أن يتلو أشجى من

(١) النهاية له 2/ 778.
(٢) تأويخ ابن خلدون 1/ 426.
(٣) انظر: سنن القراء: 92.
(٤) انظر: كشف المشكل 1/ 415.

المزامير عند المبالغة في التحبير لأنه قد تلا مثلها وما بلغ حدّ استطاعته "[1].

ويستفاد أيضاً أنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن على أكمل ما يمكنه أن يقرأه عليه من حسن الصوت وحسن الأداء[2].

المبحث الثاني

اللحن، تعريفه، وتأويخ القراءة به

توطئة:

يستدل من يتحدث عن اللحن بأحاديث، وهي:

1-عن حذيفة بن اليمان قال: قال لي رسول الله ﷺ:" اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولُحُون أهل الفسق وأهل الكتابيين، فإنه سيجيء من بعدي قوم يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرَّهبانية والنَّوْح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم "[3].

(١) إرشاد الساري 7/ 482.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين 4/ 663.

(٣) خرجه أبو عبيد في فضائله:165، والمروزي في مختصر قيام الليل:190، والبيهقي في الشعب 1/ 429، والهمذاني في التمهيد:74، والطبراني في الأوسط 7/ 183، من حديث بقية عن حصين الفزاري عن أبي محمد عن حذيفة. قال ابن الجوزي في العلل 1/ 118:" حديث لا يصح وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم. قال الهيثمي في المجمع 3/ 249:" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه راو لم يسم وبقية أيضا"،وقال الذهبي في الميزان في ترجمة حصين بن مالك الفزاري 1/ 313:" تفرد عنه بقية،وليس بمعتمد،=

وعنه أيضا:" سيكون في آخر الزمان قوم يرجِّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية ملعونة قلوبهم وقلوب من يعجبه شأنهم"[1].

2-عن عابس الغفاري أنه سمع النبي ﷺ -وقد ذكر أشراط الساعة- فقال:" بيع الحكم، وقطيعة الرحم، والاستخفاف بالدم، وأن يتخذ الناس القرآن مزامير يقدمون الرجل بينهم ليس بأفقههم ولا بأعلمهم، ولكن ليغنيهم به غناء "[2].

قال الزيلعي:" وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه وغيرهما وليس فيه حجة فإن التغني كما أشار إليه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن على نوعين: وكلاهما فيه تحسين الصوت ولكن أحدهما يحزن ويذكر الآخرة ولا يصحبه طرب ولا لهو فهذا هو المندوب إليه، والآخر يصحبه الطرب واللهو الذي يبسط النفس وتشوق المنكرات فهذا هو المنهي عنه وعليه

=والخبر منكر ".وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية:160: "هذا حديث لا يصح". والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم(1067). وهذا لفظ أبي عبيد والبقية نحوه.

(١) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب 2/ 315.

(٢) رواه أحمد 3/ 494، وابن أبي شيبة 7/ 529، والحاكم 3/ 601، والطبراني في الكبير 18/ 57،وقال الهيثمي:" وفي إسناد أحمد عثمان بن عمير وهو ضعيف، وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح " المجمع 4/ 199، 5/ 245.

يحمل حديث عابس "[1].

قلت:الروايات مع ضعفها ونكارتها جاءت على سبيل الذَّم لا المدح.

أولاً ـ اللحن لغة واصطلاحاً:

يقول ابن فارس: " لحن: اللام والحاء والنون له بناءان يدل أحدهما عل إمالة شيء عن جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء.

فأما اللَّحْن – بسكون الحاء – فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية: يقال لحن لحنا؛ وهذا عندنا من الكلام المولد؛ لأن اللَّحن مُحدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة.

ومن هذا الباب قولهم: هو طيب اللَّحن، ويقرأ بالألحان، وذلك أنه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنمه...

والأصل الآخر اللَّحَن-بفتح الحاء-، وهي الفطنة، يقال: لَحِن يلحن لَحَنا، وهو لَحِن ولاحن، وفي الحديث: "لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض "[2]،

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف: جمال الدين عبد الله ابن يوسف الزيلعي، دار النشر: دار ابن خزيمة – الرياض – 1414هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد 2/ 215.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (لحن). والحديث أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين 2/ 952، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة 3/ 1337.

أي: أفطن لها وأجدل".

قال ابن الأثير: " اللَّحن: الميل عن جهة الاستقامة، يقال لحن فلان في كلامه: إذا مال عن صحيح المنطق.." [1].

قال الليث: " والألحان ال ـضُّرُوبُ من الأصوات الموضُوعة المصُوغة، قال: واللحن: ترك الصواب في القراءة والنشيد [2].

قال الراغب:" اللّحن صرف الكلام عن سَنَنِه الجاري عليه..." [3].

ثانياً ـ من معاني اللحن:

أ- اللغة، يقال: لحن الرجل يلحن إذا تكلم بلغته، وهذا لحن بني فلان، ونزل القرآن بلحن قريش، أي: لغتها.

قال الأزهري في قول عمر – تعلموا اللحن في القرآن- يقول: تعلموا كيف لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم [4].

ب- الخطأ: قال أبو عبيد في قول عمر رضي الله عنه - تعلموا اللّحن - أي: الخطأ

(١) انظر: لسان العرب، مادة (لحن).
(٢) تهذيب اللغة، مادة (لحن).
(٣) المفردات في غريب القرآن:468.
(٤) تهذيب اللغة أبواب الحاء واللام، مادة (ح ل ن).

في الكلام لتحترزوا منه[1].

ج- التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة:

اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعة، والجمع ألحان ولحون، ولحَّن في قراءاته: طرب فيها بألحان...[2].

يقول في اللسان: " لحَن في قراءته إذا غرَّد وطرب فيها بألحان، وفي الحديث:"اقرؤوا القرآن بلحون العرب" وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء...

وقال: اللحن التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء، قال: ويشبه أن يكون أراد هذا الذي يفعله قراء الزمان من اللحون التي يقرؤون بها النظائر في المحافل فإن اليهود والنصارى يقرؤون كتبهم نحواً من ذلك"[3].

قال القرطبي:"واللَّحن الضرب من الأصوات الموضوعة، وهو مضاهاة التطريب والتغريد، كأنه لاحن ذلك بصوته، أي: شبَّهه به. ويقال منه: لحَّن في قراءته إذا طرب فيها وقرأ بألحان "[4].

(١) انظر: لسان العرب، مادة (لحن).
(٢) انظر: المخصص 4/ 9.
(٣) لسان العرب، مادة (لحن).
(٤) الموضح في التجويد:56.

د- الحرف، ومنه قول عمر بن الخطاب: " أُبي أقرؤنا وإنا لندع من لحن أُبي "[1].أي: حرفه الذي يقرأ به.

هـــ - اللحن عند أهل التجويد: هو تغيير الإعراب، وقيل: هو ألا يوفي القارئ الحرف حقه أو يقصر في صفته، أو يزيد على ذلك، كالإفراط في التمطيـط، والتعسف في التفكيك[2] .

قال الجرجاني:اللحن في القرآن والآذان: هو التطـويل فيما يقصر، والقصر فيما يطال[3]. وقال ابن الجزري:"خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف، أو بالعرف دون المعنى"[4].

التلحين اصطلاحاً: أصوات معروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر، وهي سبعةألحان [5].

ثالثاً ـ أول من قرأ بالألحان المحدثة:

ذكر الذهبي عن سليمان بن مسلم: سمعت أبا جعفر يحكي لنا قراءة أبي هريرة

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيﷺ 4/ 1913.

(٢) انظر: جمال القراء 2/ 529. وليس له صلة بالبحث لكن ذكرته استقصاء لمعاني اللحن.

(٣) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري:271.

(٤) التمهيد له: 77.

(٥) انظر: الإقناع لابن الباذش 1/ 557. قلت: فتكون الألحان هيئات للأداء كما يظهر.

في (إذا الشمس كورت) يحزنها شبه الرثاء [1].

قلت: هذه قراءة بألحان مقبولة لم تُؤدِّ إلى زيادة في حروف القرآن أو حركاته.

وتذكر المصادر أن عبيد الله بن أبي بكرة،كانت قراءته حزناً، ليست على شيء من ألحان الغناء ولا الحداء، فورث ذلك عنه ابن ابنه: عبيدالله بن عمر، وأخذ ذلك عنه سعيد العلاف الإباضي.

وكان هارون الرشيد معجباً بقراءة سعيد العلاّف الإباضي، وكان يحظيه ويعطيه، ويعرف بقارئ أمير المؤمنين.

ثم ظهر بعض القراء -في المائة الثانية- ممن قرأ بالألحان المحدثة المولدة كالهيثم، وأبان، وابن أعين، وغيرهم فكانوا يدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية: فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً.

ومنهم من كان يجهر حتى يسلخه كقراءة الهيثم " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر " فإنه كان يختلس المد اختلاساً فيقرأ (لمسكين)، وإنما سلخه من صوت الغناء كهيئة اللَّحن في قول الشاعر:

أما القطاة فإني سوف أنعتها * نعتاً يوافق نعتي بعض (مفيها)

أي: ما فيها

(١) انظر: معرفة القراء 1/ 175.

قلت: أي أنه يلحن في قراءته ويختلس الحروف والحركات لتتوافق مع الألحان التي يقرأ بها.

وفي المائة الثالثة ظهر محمد بن سعد الترمذي فقرأ على الأغاني المولدة المحدثة [1].

ويظهر أن القراءة بالألحان المولدة المحدثة انتشرت وأصبحت معروفة مشهورة بين القراء، مع وجود من ينكرها من أهل العلم في تلك الأزمنة، فقد ترجم الذهبي لبعض القرَّاء، فقال: " محمد بن أحمد بن مكي الغريب، أبو السعادات...كان طيب الصوت عارفاً بالألحان مشهوراً ". وقال في ترجمة يوسف بن أبي الغنائم: "أبو الفتح ابن المقرئ بالألحان".

وفي ترجمة أحمد بن محمد أبو طاهر السلفي(ت 576هـ) قال: "...كان آمراً بالمعروف، ناهياً عَن المنكَر، حتّى إنّه كان قد زال من جواره مُنْكَرات كثيرة. ورأيته يوما وقد جاء جماعة من المقرئين بالألحان فأرادوا أن يقرؤوا، فمنعهم من ذلك وقال: هذه القراءة بِدْعة، بل اقرؤوا ترسّلاً، فقرؤوا كما أمرهم" [2].

يقول الدهلوي: "وقد وضع اليونانيون عددا من الأوزان، يسمونها "المقامات"،

(١) انظر: المعارف لابن قتيبة:: 533، والنهاية لابن الأثير 3/ 391،ولسان العرب15/ 137، وتأويخ آداب العرب1/ 61.

(٢) تأويخ الإسلام 37/ 254، 40/ 203، 47/ 237،

واستنبطوا منها أصواتا..."[1].

المبحث الثالث

حكم القراءة بالألحان

يجب أن يعلم أن محل الاختلاف بين العلماء في التلحين في إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، أما إذا تغير شيء من ذلك فقد أجمعوا جميعاً على تحريمه [2]، واختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال، وهي:

أولاً ـ القائلون بالتحريم وأدلتهم:

نقل عن مالك التحريم ففي المدونة: "سئل مالك عن الألحان في الصلاة. قال: لا تعجبني، وأعظم القول فيه، وقال: إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدَّراهم"[3].

وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من أهل العلم [4].

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير:111.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق:بشير محمد مكتبة المؤيد – الطائف، ط 1، 1412هـ 1991م.

:56.

(٣) انظر: المدونة 1/ 223.

(٤) انظر: الفتح 8/ 702، ولطائف الإشارات 2/ 444.

قال شيخ الإسلام: " قراءة القرآن بصفة التلحين الذي يشبه تلحين الغناء مكروه مبتدع كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة "[1].

وفي روضة الطالبين قال:" وجاء عن الشافعي: القراءة بالألحان فقال في المختصر: **لا بأس بها** ، وعن رواية الربيع بن سليمان الجيزي: **أنها مكروهة** . قال جمهور الأصحاب: ليست على قولين: بل المكروه أن يفرط في المد، وفي إشباع الحركات حتى تتولد من الفتحة ألف، ومن الضم ة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة، وفي أمالي السرخسي: وجه: أنه لا يكره وإن أفرط.

قلت: الصحيح أنه إذا أفرط على الوجه المذكور، فهو حرام، صرح به صاحب (الحاوي) فقال: هو حرام يفسق به القارئ، ويأثم المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجة القويم، وهذا مراد الشافعي بالكراهة"[2].

قال في الحاوي:" فأما القراءة بالألحان الموضوعة للأغاني فقد اختلف الناس فيها. فرخصها قوم، وأباحوها...وشددها آخرون وحظروها، لخروجها عن الزجر والعظة إلى اللهو والطرب؛ ولأنها خارجة عن عرف الرسول ﷺ وصحابته

(١) جامع المسائل 4/ 355.

(٢) انظر: روضة الطالبين 11/ 227، والفتح 8/ 702.

رضوان الله عليهم إلى ما استحدث من بعده...

وأما الشافعي فإنه عدل عن هذين الإطلاقين في الحظر والإباحة باعتبار الألحان، فإذا أخرجت ألفاظ القرآن عن صيغته، بإدخال حركات فيه وإخراج حركات منه، يقصد بها وزن الكلام وانتظام اللحن، أو مد مقصور، أو قصر ممدود، أو مطط حتى خفي اللفظ، والتبس المعنى، فهذا محظور يفسق به القارئ ويأثم به المستمع، لأنه قد عدل به عن نهجه إلى اعوجاجه...وإن لم يخرجه اللحن عن صيغة لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحا، لأنه قد زاد بألحانه في تحسينه وميل النفس إلى سماعه"[1].

قال أحمد: ما تعجبني وهو محدث. وقال: القراءة بالألحان بدعة لا تسمع[2].

قال ابن قدامة: " وكلام أحمد في هذا محمول على الإفراط في ذلك بحيث يجعل الحركات حروفا ويمد في غير موضعه، فأما تحسين القراءة والترجيع فغير مكروه"[3].

وجاء في الإقناع إنها بدعة، وإذا حصل فيها تغيير لنظم القرآن حرمت[4].

(١) الحاوي الكبير للماوردي 17/ 197.
(٢) انظر: زاد المعاد 1/ 466.
(٣) انظر: المغني 23/ 193.
(٤) انظر :الإقناع 1/ 148.

وعن عبدالله ابن الإمام أحمد قال: سألت أبي عن القراءة بألحان فكرهها وقال لا إلا أن يكون طبع الرجل مثل قراءة أبي موسى حدراً [1].

قال في المغني [2]:"وقد روينا عن أبي عبدالله أن رجلا سأله عن ذلك – القراءة بالألحان- فقال: ما اسمك ؟ قال: محمد. قال: أفيسرك أن يقال لك يا موحامد..."

قال القاضي أبو يعلى:" هذه مبالغة في الكراهة " [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما ما أُحدِثَ بعدَهم من تكلف القراءةِ على ألحانِ الغناءِ فهذا ينهى عنه عند جمهور العلماء، لأنه بدعة، ولأن ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوت الملحن كما يصغى إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به. والله سبحانه أعلم"[4].

قال النووي: " وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبة ابتلي بها

(١) انظر: العلل ومعرفة الرجال 2/ 354.

(٢) انظر: المغني 23/ 193.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق:بشير محمد مكتبة المؤيد -الطائف، ط 1، 1412هـ 1991م.

(٤) انظر: جامع المسائل له 3/ 304.

بعض الجهلة الطَّغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل، وهذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها كما قاله أقضى القضاة الماوردي، ويأثم كل قادر على إزالتها، أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك، وقد بذلت فيها بعض قدرتي وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك وأن يجعله في عافية..." [1].

استدل المانعون بأدلة منها:

1 -عن حذيفة بن اليمان قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكبائر وأهل الفسق ولحون أهل الكتاب، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم "[2].

والحديث كما سبق لا يصح.

2- عن عابس الغفاري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم -وقد ذكر أشراط الساعة- فقال: " بيع الحكم، وقطيعة الرحم، والاستخفاف بالدم، وأن يتخذ الناس القرآن مزامير يقدمون الرجل بينهم ليس بأفقههم ولا بأعلمهم، ولكن

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق:بشير محمد مكتبة المؤيد -الطائف، ط 1، 1412هـ 1991م.

(٢) سبق تخريجه، وكذلك الحديث الآتي.

ليغنيهم به غناء ".

قال الزيلعي: " وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه وغيرهما وليس فيه حجة فإن التغني كما أشار إليه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن على نوعين: وكلاهما فيه تحسين الصوت ولكن أحدهما يحزن ويذكر الآخرة ولا يصحبه طرب ولا لهو فهذا هو المندوب إليه والآخر يصحبه الطرب واللهو الذي يبسط النفس وتشوق المنكرات فهذا هو المنهي عنه وعليه يحمل حديث عابس " [1].

3- عن ابن عباس قال:كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأذان سمح سهل، فإن كان أذانك سهلا سمحا وإلا فلا تؤذن" [2].

قالوا فإذا كان النهي للمؤذن أن يطرب في أذانه، فالنهي عن التطريب والتلحين بالقرآن أولى.

---

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف: جمال الدين عبد الله ابن يوسف الزيلعي، دار النشر: دار ابن خزيمة – الرياض – 1414هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد 2/ 215.

(٢) رواه الدار قطني في سننه 1/ 239. وفي إسناده إسحاق بن أبي يحيى الكعبي عن ابن جريج ينفرد عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات، قال ابن أبي حاتم في المجروحين 1/ 137:" لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار ". وقال الذهبي في الميزان 1/ 205:"هالك يأتي بالمناكير".

4-جاء زياد النهدي إلى أنس رضي الله عنه مع القرَّاء فقيل له: اقرأ فرفع صوته وطرب وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سوداء، وقال: يا هذا! ما هكذا كانوا يفعلون؛ وكان إذا رأى شيئا ينكره رفع الخرقة عن وجهه" [1].

وقوله:" ما هكذا كانوا يفعلون " دليل على أن القراءة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن للتطريب كما قرأ زياد، ولهذا أنكر عليه أنس رضي الله عنه[2].

5- أن التلحين والتطريب من بدع القراء المحدثة لما رواه الدارمي في سننه عن محمد بن سيرين:" إنهم كانوا يرون هذه الألحان في القراءة محدثة " [3]. ومعلوم أن شر الأمور محدثاتها.

ثانياً ـ القائلون بالكراهة:

رويت الكراهة عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وابن سيرين، ومحمد بن الحسن، وابن عيينة، والحسن البصري، وإبراهيم الحربي، والنخعي[4].

وحكاه ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية، والماوردي والبندنيجي والغزالي

(١) انظر: غرائب أنس بن مالك: 86. وعند الدارمي في سننه 2/ 565 بلفظ:" قرأ رجل عند أنس بلحن من هذه الألحان، فكره ذلك أنس".

(٢) انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد:44.

(٣) السنن 2/ 566.

(٤) انظر: زاد المعاد 1/ 467.

من الشافعية، وصاحب الذخيرة من الحنفية، واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة [1].

قال ابن مفلح: " وقال القاضي عياض: " اختلفوا في القراءة بالألحان: فكرهها مالك والجمهور؛ لخروجها عما جاء به القرآن له من الخشوع والتفهم. وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأنها سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه"[2].

قال ابن خلدون: "...والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام – رحمه الله تعالى – لأن القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات، وهكذا كانت قراءة الصحابة –رضي الله عنهم – كما في أخبارهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم "لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود " فليس المراد به الترديد والتلحين، إنما معناه: حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها " [3].

(١) انظر: الفتح 8/ 702، ولطائف الإشارات 2/ 444.

(٢) الآداب الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة – بيروت– ط 1417،2هـ 1996م 2/ 302.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون:425.

ثالثاً ـ القائلون بالإباحة وأدلتهم:

استدل أصحاب هذا القول بأدلة – تقدم تخريجها– منها:

1 –حديث البراء (زينوا أصواتكم بالقرآن)، وتزيين الصوت تلحينه.

2 –حديث (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، والتغني بالقرآن هو تحسين الصوت وتلحينه وتقدم معنى التغني وخلاف العلماء فيه.

3 –حديث ابن مغفل في كيفية قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه كان يرجع.

4 –حديث أبي هريرة (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي) وتقدم معنى الأذن والتغني.

5 –حديث أبي موسى الأشعري (لو علمت أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً) وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على مقولته؛ فدل على جواز تزيين الصوت وتلحينه ليؤثر على سامعه.

وممن ذهب إلى إباحة التلحين:

نقل ابن القيم عن الطبري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى: (ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن، وقال: من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل)... وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتا بالقرآن فقال له عمر: (اعرض علي سورة كذا، فعرض عليه فبكى عمر، وقال ما

كنت أظن أنها نزلت).

وذكر كذلك أن ممن أجاز الألحان في القرآن: ابن عباس، وابن مسعود، وعطاء، وابن زيد، وابن جريج، وابن المبارك، والنضر بن شميل، وهو مذهب أبي حنيفة، والرواية الثانية في مذهب الشافعي، وكان عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد: يتتبع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان(١).

وذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه أنهم كانوا يستمعون القرآن بالألحان.

وقال محمد بن عبد الحكم: رأيت أبي والشافعي ويوسف بن عمر يستمعون القرآن بالألحان، وهو اختيار ابن جرير الطبري(٢).

وعن عاصم عن ابن جـريج قال:" سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ؟ قال: وما بأس ذلك يا ابن أخي(٣) ؟

وسئل أحمد عن القوم، يجتمعون ويقرأ لهم القارئ قراءة حزينة، في بكون وربما أطفؤا السُّرُج، فقال: "إن كان يقرأ قراءة أبي موسى فلا بأس"(٤).

ومما استدلوا به، قالوا: إن المحرم لا بد أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة،

(١) انظر: زاد المعاد 1/ 467، وشرح صحيح البخاري لابن بطال 18/ 68، وفتح الباري 8/ 702.
(٢) انظر: زاد المعاد 1/ 468.
(٣) انظر: العقد الفريد 6:9.
(٤) انظر: الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال:81.

وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئا من ذلك فإنها لا تخرج عن وضعه، ولا تحول بين السامع وبين فهمه.

وقالوا: ولأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب وذلك عون على المقصود وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء...وبمنزلة الطيب والتحلي وتجمل المرأة لبعلها ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح.

قالوا: ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه "[1].

رابعاً ـ القائلون بالاستحباب:

ذهب إليه الفوراني من الشافعية فقال: " يجوز بل يستحب "[2]. وقال الدارمي: " القراءة بالألحان **مستحبة** ما لم يزل حرفا عن حركته، أو يسقط فإن ذلك محرم "[3].

قال ابن عابدين: " القراءة بالألحان إذا لم تغير الكلمة عن وضعها، ولم يحصل بها تطويل الحروف حتى لا يصير الحرف حرفين، بل مجرد تحسين الصوت وتزيين

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: الفتح 8/ 702.

(٣) انظر: حاشية الرملي 4/ 344.

القراءة، **لا يضر بل يستحب عندنا في الصلاة وخارجها"** [1].

ويقول ابن العربي: " واستحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالألحان والترجيع، وكرهه مالك. وهو جائز... والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى، وزيادة في الخلق ومنة، وأحق ما لُبِّست هذه الحُلَّة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله..."[2].

خامساً ـ الخلاصة والترجيح:

تقدمت الإشارة إلى أن محل الاختلاف بين العلماء في التلحين في إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، أما إذا تغير شيء من ذلك فقد أجمعوا جميعاً على تحريمه [3].

ومما يدل على أن السلف إنما كانوا يمنعون ويكرهون ما يتكلف ما يلي:

قال القسطلاني:" ومحل هذا الخلاف إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه "[4].

قال الماوردي في كتابه الحاوي: " **القراءة بالألحان الموضوعة** إن أخرجت لفظ

(١) انظر: حاشية ابن عابدين 1/ 630.

(٢) أحكام القرآن له 4/ 4.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق:بشير محمد مكتبة المؤيد -الطائف، ط 1، 1412هـ 1991م.

(٤) انظر: لطائف الإشارات:216.

القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخفي به بعض اللفظ ويتلبس المعنى فهو حرام، يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول (قرآنا عربيا غير ذي عوج).

قال: وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحا ؛ لأنه زاد على ألحانه في تحسينه " [1].

ويقول القرطبي: "...ثم أن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات كثيرة، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع وإن وافق ذلك موضع نبرة صيرها نبرات وهمزات، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير إما ممدودة وإما مقصورة " [2].

وقال علي قاري: " المراد بألحان العرب: القراءة بالطبع وبالأصوات السليقية، وبألحان أهل الفسق: الأنغام المستفادة من القواعد الموسيقية، والأمر محمول على الندب، والنهي محمول على الكراهية إن حصل له معه المحافظة على صحة ألفاظ

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق:بشير محمد مكتبة المؤيد -الطائف، ط 1، 1412هـ 1991م.

(٢) الجامع لأحكام القران:لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي،تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط:2، 1405هـ 1/ 30.

الحروف، وإلا فمحمول على التحريم "[1].

قال ابن القيم:" وفصل النزاع أن يقال:التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خلي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي صلى الله عليه وسلم:"لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ".

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع، وعدم التكلف والتصنع فيه فهو مطبوع لا متطبع، وكلف لا متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني:

ما كان من ذلك صناعةً من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلف، وعابوها وذمُّوها ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه.

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف، يعلم قطعا أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيق ا المتكلفة، التي

(١) المنح الفكرية:99.

هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها، ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشج نٍ تارة، وبطر بٍ تارة، وبشوقٍ تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه، وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به..."[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا القرآن الذي هو كلام الله وقد ندب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى تحسين الصوت به، وقال (زينوا القرآن بأصواتكم)، وقال لأبي موسى "لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك " فقال: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً.

وكان عمر يقول: يا أبا موسى ذكِّرْنا ربنا، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما أذن الله لشيء كأَذَنِهِ لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به ". وقال:" لله أشد أَذَناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته". ومع هذا فلا يسوغ أن يُقرأ القرآن بألحان الغناء، ولا أن يُقرن به من الألحان ما يُقرن بالغناء من الآلات وغيرها، لا عند من يقول بإباحة ذلك، ولا عند من يحرمه، بل المسلمون متفقون على الإنكار لأن يُقرن بتحسين الصوت بالقرآن الآلات المطربة بالفم كالمزامير، وباليد كالغرابيل.

فلو قال قائل: النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأ القرآن، وقد استقرأه من ابن مسعود، وقد استمع لقراءة أبي موسى، وقال: " لقد أوتي مزماراً من مزامير داود " فإذا قال قائل: إذا جاز ذلك بغير هذه الألحان، فلا يتغير الحكم بأن يسمع

(١) زاد المعاد 1/ 474. ونقله عنه بنصه القسطلاني في المواهب اللدنية 3/ 532.

بالألحان، كان هذا منكراً من القول وزوراً باتفاق الناس"[1].

ويقول ابن خلدون: " وكثير من القراء بهذه المثابة يقر ؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير فيطربون بحسن مساقهم، وتناسب نغماتهم، ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به - إذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقا-...وقد أنكر مالك -رحمه الله تعالى- القراءة بالتلحين، وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وليس المراد تلحين الموسيقا الصناعي فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظره إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه؛ لأن القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتعين أداء الحروف لا من حيث إتباع الحركات في موضعها، ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره وأمثال ذلك، والتلحين-أيضا- يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبار أحدهما قد يخل بالآخر إذا تعارضا، وتقديم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن، فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن بوجه، وإنما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه، فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك، وهذا هو محل الخلاف"[2].

قال ابن حجر:"...والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث...

(١) الاستقامة 1/ 244، والأحاديث التي ذكرها سبق تخريجها.

(٢) مقدمة ابن خلدون:425، بترقيم المكتبة الشاملة.

ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام ؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراع ي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معا فلا شك في أنه أرجح من غيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء. والله أعلم "[1].

وجعل بعض المتأخرين شروطا وضوابط في الاستعانة بالألحان وقانونها لتحسين الصوت بالقرآن وهي:

أولها ـ ألا يطغى على صحة الأداء، ولا على سلامة أحكام التجويد، فإنه إذا ما سبب التلحين إخلالا بأحكام الأداء، وقواعد التجويد والقراءة حَرُم.

ثانيها ـ ألا يتعارض التلحين والتنغيم مع وقار القرآن وجلاله، ومع الخشوع والأدب معه فإن بعض هذه الألحان لا يليق بالقرآن، وهي التي يكون فيها تطريب لا يبعث على الخشوع والخشية والتذكر، بل هو لهو وعبث...وفي هذا المقام على المرتِّل الذي يترنم بقراءته على بعض الألحان، أن يتجنب التشبه بمن ورد ذكرهم في حديث حذيفة، فيحرص على الابتعاد الخاصة بالأعاجم؛ لأن القرآن عربي...ويحرص على الابتعاد عن التشبه بحال أهل الغناء الشيطاني من

(١) الفتح 8/ 702.

الترقيصات والتأوهات، والتلاعب والخلاعات، والمدود الزائدة والتمطيطات، وأكل الحروف والإخلال بالأحكام والصفات، مما يتنافى مع جلال كلام الله العلي العظيم، ويحرص على الابتعاد عن التشبه بإيقاعات التراتيل الكنائسية والأنغام اليهودية والنصرانية فإن مطلق التشبه بهم حرام، فكيف بهذا المقام ؟!

ويحذر – المرتل– من الانزلاق إلى النواح حتى لا يتشبه بأهل النوح من الذين لا يؤمنون بقدر الله ولا يرضون بحكمه.

ثالثها ـ أن يميل عند القراءة بالألحان إلى التحزين، فإنه اللحن المناسب لمقام القرآن، وهو اللحن الداعي إلى الخشوع والتذكر، والجالب للخشية والبكاء، ولذا فسر بعض السلف التغني في الحديث بالتحزين... ولكن على المرتل ألا يبالغ في ذلك، حتى لا يقع في لحون النياحة المنهي عنها...

رابعها ـ أن يأخذ من الألحان، ويستعين بها على قدر حاجته إلى تحسين صوته، وتزيين ترنمه، أو قدر حاجته إلى زيادة هذا التحسين والترنم – كما قال أبو موسى الأشعري – دون أن يخرج به ذلك عن هذا الحد المشروع إلى التكلف والتعسف المعروفين ممن اتخذ هذا الأمر صنعة وحرفة يتكسبون بها ويأكلون من قراء المآتم، وكثير من قراء الإذاعات، يقرأ الواحد منهم بتعسف وتصنع، حتى تنتفخ أوداجه...يقرأ إشباعا للشهوة، أو سعياً للشهرة، أو طمعاً في المال، والذين يعجبهم شأن هؤلاء مثلهم، إنما يسمعون أصواتهم، ويستحبون صراخهم، أما

القرآن فلا يفقهون من آياته شيئاً..." [1].

قلت: هذه الشروط في مجملها ترجع إلى عدم التكلف كما هو ترجيح ابن القيم السابق.

النتائـــــج

وبعد رحلة قصيرة لبيان معاني التغني بالقرآن وحكم القراءة بالألحان، فإن أهم النتائج، هي:

1 -يجب أن تحفظ مكانة القرآن، ويصان عما يؤدي إلى الاستخفاف به وبقدسيته.

2 -أن تحسين الصوت له أصل شرعي في سنة الرسول ﷺ.

3 -أن الاستماع إلى قراءة القرآن من فعل الرسول ﷺ وأصحابه من بعده.

4 -اتفاق السلف على أن تحسين الصوت بقراءة القرآن أمر مطلوب .

5 -أن تحسين الصوت بالقراءة مما يزيد في التأثر بالقرآن.

6 -أن اختلاف العلماء في التلحين في ما إذا لم يختل شيء من حروفه عن مخرجه وصفته.

(١) انظر: سنن القراء:97-103.

7 -إجماع العلماء على تحريم التلحين إذا أدى إلى تغير شيء من حروف القرآن عن مخرجه أو زاد فيه بعض الحركات أو نقص منها.

8 -إذا استطاع الإنسان أن يحسن من صوته عند القراءة وبدون مشقة عليه وتكلف فيستحب له ذلك.

وفي الختام نسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى ويأخذ بنواصينا للبر والتقوى، كما أسأله سبحانه أن يجعلنا من أهل القرآن العالمين به التالين له آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا.

وإذا كان النقص والخلل من طبع الإنسان، فما كان من صواب فمن الله وحده فله الشكر والحمد وإن كان من خطأ فمن نفسي واستغفر الله، ورحم الله القائل[1]:

إن تجد عيبا فَسُدّ الخللا * جل من لا عيب فيه وعلا.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

(١) انظر: ملحة الإعراب وشرحها:344.